

مُخْتَارٌ مِنَ اللَّهِ

المحاضرة ٤: الفساد الكامل للإنسان

أ.ر. سي. سبرول

في المحاضرة السابقة من دراستنا للتعيين المسبق، تحدثنا عن مفهوم حرية الإرادة، وفي ختام المحاضرة، عرضت بعض أفكار جوناثان إدواردز، وأيضا القديس أوغسطينوس، وأشرت إلى لوثر، وجون كالفن. لكن، بعض النظر عن احترامنا، أو عدمه، لهؤلاء المعلمين العظماء في تاريخ الكنيسة، اعتقد أننا نقرأ جميعا بالأبناى ينبغي اعتبار سلطة أي منهم، أو جميعهم، في التعليم معصومة.

ولذلك، يلزم أن ننقل إلى الخطوة التالية في دراستنا لموضوع مقدره الإنسان الأخلاقية، أو غيابها، لنسمع ما يعلمه ربنا نفسه. فربما نخلف مع أوغسطينوس، أو لوثر، أو كالفن، أو أي معلم عظيم آخر، لكن حاشا لنا أن نعارض تعليم المسيح نفسه.

في هذه المحاضرة إذن، سنلتفت قليلا إلى بعض أهم تصريحات الرب يسوع عن مقدره الإنسان أو عن غيابها.

لا يقدر أحد:

سنذهب الآن، أولا، إلى الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا، حيث يقول يسوع في الآية ٦٥: "فقال: لهذا قلت لكم: إنه لا يقدر أحد أن يأتي إلي إن لم يعط من أبي".

لننظر هذه الآية: "لا يقدر أحد أن يأتي إلي إن لم يعط من أبي". الجزء الأول من الآية: "لا ... أحد"، أو "لا إنسان أو شخص" بحسب بعض الترجمات - "لا ... أحد". إن طبنا هنا قوانين المنطق، وقواعد الاستدلال المباشر، وغيرها، نجد أن هذا التصريح هو ما نسميه نفيا عاما. أي شاملا. يقول المسيح إن لا أحد، بلا استثناء (كذا). لا أحد يقدر أن يأتي إليه إن لم يعط من الأب. هذا تصريح مطلق. أي نفيا مطلقا. علينا أن نفهم هذا.

الكلمة التالية أيضا مهمة. وهي كلمة "يقدر". "لا يقدر أحد". كلمة "يقدر". الكلمة المستخدمة في النص اليوناني أوضح من كلمة "يقدر" في لغتنا. ففي لغتنا، نخط عادة بين كلمة "يقدر" وماذا؟ "بالإمكان". هذا صحيح.

تعلمنا هذا جميعا — أتذكر حين كنا أطفالا في المدرسة، كنا نرفع يدينا للمعلمة ونقول: "هل أقدر أن أقرأ الفلم؟" وكانت المعلمة تقول دائما: "أنت تقدر بالتأكيد، وبإمكانك أيضا أن تفعل ذلك". ثم كانت تستغل الفرصة لتعلمنا

هَذَا الدَّرْسَ الَّذِي كَانَ يَبْدُو صَعْبًا، وَهُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ كَلِمَةِ "بِالإِمْكَانِ"، الَّتِي تَعْنِي السَّمَاحَ، وَكَلِمَةِ "يَقْدِرُ". تَتَعَلَّقُ كَلِمَةُ "يَقْدِرُ" بِالِاسْتِطَاعَةِ.

تَقُولُ هَذِهِ الْآيَةُ (يُوحَنَّا ٦: ٦٥) إِذَنْ أَنْ لَا أَحَدٌ "يَقْدِرُ"، بِمَعْنَى أَنْ لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ فِعْلَ شَيْءٍ مَا. إِنْ قُلْتُمْ إِنَّ لَا أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَجْرِيَ بِسُرْعَةِ ٣٠ مِيلًا فِي السَّاعَةِ، فَهَذَا يَعْنِي أَنْ لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْرِيَ بِسُرْعَةِ ٣٠ مِيلًا فِي السَّاعَةِ، أَوْ ٣٠٠ مِيلًا فِي السَّاعَةِ (لَا أَعْرِفُ السَّرْعَةَ الْفِعْلِيَّةَ).

حَسَنًا، مَا الشَّيْءُ الَّذِي لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ فِعْلَهُ، وَالَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنْهُ يَسُوعُ هُنَا؟ لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ "يَأْتِيَ إِلَيَّ". سَأَسْأَلُكُمْ هَذَا: هَلِ الْإِنْسَانُ، مِنْ ذَاتِهِ، بِحَسَبِ رَأْيِ يَسُوعَ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى يَسُوعَ؟ لَا. هَلْ يَسْتَطِيعُ بَعْضُ الْبَشَرِ أَنْ يَأْتُوا إِلَى يَسُوعَ مِنْ ذَاتِهِمْ؟ لَا. لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ جُمْلَةً نَسَمِيهَا أُسْلُوبَ اسْتِثْنَاءٍ. "إِنْ لَمْ تَمَهِّدْ لاسْتِثْنَاءٍ. وَإِنْ لَمْ تُشِيرْ إِلَى مَا نَسَمِيهِ فِي الْفَلْسَفَةِ بِالشَّرْطِ الْأَسَاسِيِّ.

الشَّرْطُ الْأَسَاسِيُّ:

مَا هُوَ الشَّرْطُ الْأَسَاسِيُّ؟ هُوَ الْمَطْلَبُ الْمُسَبِّقُ. أَيُّ هُوَ شَيْءٌ يَجِبُ أَنْ يَحْدُثَ قَبْلَ إِمْكَانِيَّةِ حَدُوثِ شَيْءٍ آخَرَ. هَذَا هُوَ الْمَطْلَبُ الْمُسَبِّقُ. وَهَكَذَا، يَقُولُ يَسُوعُ إِنَّهُ يُوجَدُ شَرْطٌ أَسَاسِيٌّ يَجِبُ اسْتِيفَاؤُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْدِرَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ.

وَمَا الشَّيْءُ الَّذِي يُعْرِفُهُ بِأَنَّهُ الشَّرْطُ الْأَسَاسِيُّ كَيْ يَقْدِرَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ؟ "إِنْ لَمْ يُعْطَ مِنْ أَبِي"، أَوْ فِي تَرْجَمَاتٍ أُخْرَى: "إِنْ لَمْ يَسْمَحْ لَهُ أَبِي"؛ أَوْ: "إِنْ لَمْ يُمَكِّنْهُ أَبِي". هَذِهِ الْكَلِمَاتُ لَا تَعْنِي شَيْئًا وَاحِدًا. "يَسْمَحُ لَهُ" تَعْنِي "يُعْطِيهِ الْإِذْنَ"، وَ"يُعْطِي" تَعْنِي "يُعْطِي هِبَةً"، وَ"يُمَكِّنُ" تَعْنِي "يَمُدُّ بِالْقُوَّةِ". وَاضِحٌ؟ يُحِيطُ بَعْضُ الْعُمُوضِ بِهَذَا الشَّرْطِ الْأَسَاسِيِّ.

وَيَظَلُّ سُؤَالَ آخَرَ مَوْجُودًا، وَهُوَ: إِنْ تَحَقَّقَ الشَّرْطُ الْأَسَاسِيُّ لَسْنَا نَقْصِدُ الْمَجِيءَ إِلَى يَسُوعَ-بَلْ فِي آيَةٍ حَالَةٍ أُخْرَى، إِنْ تَحَقَّقَ الشَّرْطُ الْأَسَاسِيُّ، فَهَلْ يَضْمَنُ هَذَا تَحْقِيقَ النَّتِيجَةِ الَّتِي تُرِيدُهَا بِالْفِعْلِ؟ لَا. لِذَلِكَ، نُفَرِّقُ بَيْنَ الشَّرْطِ الْأَسَاسِيِّ وَالشَّرْطِ الْوَافِيَةِ.

الشَّرْطُ الْوَافِي، هُوَ الَّذِي إِنْ تَحَقَّقَ، يَضْمَنُ النَّتِيجَةَ. فَهُوَ يَكْفِي. مِنْ أَمْتَلَةِ الشَّرْطِ الْأَسَاسِيِّ أَنْكَ إِنْ أَرَدْتَ إِشْعَالَ نَارٍ، فَالْأَوْكْسِجِينُ هُوَ الشَّرْطُ الْأَسَاسِيُّ لِإِشْعَالِ النَّارِ. لَكِنَّ وُجُودَ الْأَوْكْسِجِينِ وَحْدَهُ لَا يَضْمَنُ اشْتِعَالَ النَّارِ. إِنْ كَانَتْ لَدَيْكَ وَرَقَةٌ جَافَّةٌ، وَالكَثِيرُ مِنَ الْأَوْكْسِجِينِ، ثُمَّ أَشْعَلْتَ ثِقَابًا وَلَمَسْتَ بِهِ الْوَرَقَةَ، سَتَشْتَعِلُ النَّارُ لِأَنَّ الثَّقَابَ

المُشْتَعَلِ شَرْطٌ وَافٍ لِإِشْعَالِ الْوَرَقَةِ الْجَافَةِ تَحْتَ تِلْكَ الظُّرُوفِ، أَيِ بَشْرَطِ وُجُودِ الشُّرُوطِ الْأَسَاسِيَّةِ الْأُخْرَى. أَتَفْهَمُونَ الْفَرْقَ الْآنَ؟

إِذْنِ، كُلُّ مَا تُعَلِّمُهُ هَذِهِ الْآيَةُ هُوَ أَنَّهُ مِنْ حَيْثُ مَقْدَرَةِ الْإِنْسَانِ الطَّبِيعِيَّةِ، لَا أَحَدٌ مِنَّا لَدَيْهِ الْمَقْدَرَةُ، مِنْ ذَاتِهِ، أَنْ يَأْتِيَ إِلَى الْمَسِيحِ، إِنْ لَمْ يَفْعَلِ اللَّهُ شَيْئًا. لَسْنَا نَعْرِفُ بِالتَّحْدِيدِ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ. وَلَسْنَا نَعْرِفُ بَعْدُ هَلْ إِنْ فَعَلَهُ سَيَضْمَنُ هَذَا أَنْ يَأْتِيَ النَّاسُ إِلَيْهِ أَمْ لَا. كُلُّ مَا نَعْرِفُهُ هُوَ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ، أَيًّا كَانَ، هُوَ شَرْطٌ أَسَاسِيٌّ، أَوْ مَطْلَبٌ مُسَبِّقٌ، وَاضِحٌ؟

يَنْبَغِي أَنْ يَجْتَذِبَ الْآبُ:

قَدْ يَفْقَهُ الْبَعْضُ إِلَى آيَةٍ أُخْرَى فِي يُوحَنَّا ٦ يَقُولُ فِيهَا الرَّبُّ يَسُوعُ: "كُلُّ مَا يُعْطِينِي الْآبُ فَالِي يَقْبَلُ" (يُوحَنَّا ٦: ٣٧). هَذَا يُوجِي بَأَنَّ كُلَّ مَنْ يَحْضُلُ عَلَى هَذَا الشَّرْطِ الْأَسَاسِيِّ، يَقْبَلُ فِعْلًا. لَكِنْ لَيْسَتْ هَذِهِ الْعِلَاقَةُ بِالتَّحْدِيدِ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ. لِنَرَ إِنْ اسْتَطَعْنَا مُمَاحِظَةَ الْفَرْقِ.

يَقُولُ يَسُوعُ: "كُلُّ مَا يُعْطِينِي الْآبُ فَالِي يَقْبَلُ"، وَ"لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يُعْطَ مِنْ أَبِي". يَكَادُ الْأَمْرُ يَبْدُو وَكَأَنَّ: كُلُّ مَنْ يُعْطَى لَهُ أَنْ يَأْتِيَ هُوَ ضِمْنِ الَّذِينَ يُعْطِيهِمُ الْآبُ لِلآبِنِ. لَكِنْ لَاحِظُوا أَنْ فِي الْحَالَةِ الْأُولَى نَحْنُ الَّذِينَ نُعْطَى. وَفِي الْحَالَةِ الثَّانِيَّةِ، يَسُوعُ هُوَ الَّذِي يُعْطَى. وَلِهَذَا، لَا نَسْتَطِيعُ الْمُسَاوَاةَ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ، مَعَ أَنِّي أَرَى أَنَّهُمَا مُتَوَازِيَتَانِ، لَكِنَّا لَا نَقْدِرُ أَنْ نُثَبِّتَ هَذَا مِنَ اللَّغَةِ. وَلِهَذَا، يَبْقَى الْعُمُوضُ مُحِيطًا بِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْدُثَ.

مَا هِيَ طَبِيعَةُ هَذَا الشَّرْطِ الْأَسَاسِيِّ؟ حَسَنًا، لَاحِظُوا أَنَّ يَسُوعَ قَالَ هُنَا إِنَّهُ أَخْبَرَهُمْ هَذَا بِالْفِعْلِ، وَيَقُولُ إِنَّ هَذَا تَكَرَّرَ. فَهُوَ يَقُولُ: "لِهَذَا قُلْتُ لَكُمْ" (يُوحَنَّا ٦: ٦٥). إِذْنِ، هُوَ يُكْرِّرُ كَلَامَهُ. لِنَرَ إِذْنِ هَلْ سَنَنْجَحُ فِي إِجَادِ التَّصْرِيحِ السَّابِقِ لِهَذَا، وَالْمُطَابِقِ أَوْ وَثِيقِ الصِّلَةِ بِمَا يَكْفِي لِيَكُونَ هُوَ مَا يَقْصِدُهُ يَسُوعُ.

حَسَنًا، إِنْ نَظَرْنَا إِلَى جُزْءٍ سَابِقٍ مِنَ الْأَصْحَاحِ، نَجِدُ نَفْيًا عَامًّا آخَرَ، وَتَصْرِيحًا آخَرَ بِشُرُوطِ أُسَاسِيَّةٍ، وَبِمَقْدَرَةِ الْإِنْسَانِ الْأَخْلَاقِيَّةِ. نَقْرَأُ فِي الْآيَةِ ٤٤: "لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَقْبَلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الْآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي". لَيْسَ هَذَا غَامِضًا بِالْقَدْرِ نَفْسِهِ. هُنَا، يَقُولُ يَسُوعُ إِنَّ الشَّرْطَ الْأَسَاسِيَّ هُوَ أَنَّ الْآبَ يَجْتَذِبُ أَحَدَهُمْ.

يُمْكِنُنَا إِذْنِ أَنْ نَقُولَ، بِشَكْلِ قَاطِعٍ، وَدُونَ خَوْفٍ مِنَ التَّنَاقُضِ إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ عَلَّمَنَا أَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَأْتِيَ أَيُّ إِنْسَانٍ إِلَى الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبِ الْآبُ هَذَا الشَّخْصَ؟ أَسْتَطِيعُ إِضَافَةَ أَنَّ أَتْبَاعَ الرَّأْيِ الْأَوْعُسْطِيَّيْنِ

وَأَتْبَاعَ الرَّأْيِ شِبْهُ الْبِيلاجِي عَلَى حَدِّ سِوَاءِ يَتَّقُونَ عَلَى وُجُودِ شَرْطِ أُسَاسِيٍّ يَنْبَغِي أَنْ يُؤْفِرَهُ اللهُ. يَنْبَغِي أَنْ يَجْتَذِبَ اللهُ النَّبَشَرَ، لَكِنْ، يَبْقَى هُنَاكَ جَدَلٌ. وَهُوَ: مَا الْمَقْصُودُ بِأَنَّ اللهُ يَجْتَذِبُ؟

يَتَوَدَّدُ لِلدُّخُولِ إِلَى الْمَحَاكِمِ:

التفسير الأرميني الكلاسيكي، أو التفسير شبه البيلاجي، لهذا هو أن لا أحد يقدر أن يأتي إلى يسوع إن لم يستدرجه الأب، أو يتودد إليه. مرة أخرى، يرتبط هذا عادةً بمفهوم النعمة السابقة، أو بتأثير الروح القدس في التودد، أو الاستدراج. تُفسر كلمة "يجذب" (يوحنا ٦: ٤٤) هنا بأنها تعني "يتودد أو يستميل"، كما يجذب العسل النحل، ويجذب الثور الفراشات. لكن الجذب الذي يفعله الله قابل للمقاومة، ومن يستجيبون للاستدراج، أو يستجيبون للتودد، ينالون الفداء، بحسب الأرمينية، ومن لا يستجيبون للاجتذاب يهلكون.

التفسير الأوغسطيني للآية هو أن كلمة "يجذب" تعني أكثر من مجرد "يستدرج أو يتودد".

لنر كيف استخدمت هذه الكلمة اليونانية في نصوص أخرى من العهد الجديد. إن فتحنا رسالة يعقوب، الأصحاح ٢، والآية ٦، سنجد الكلمة اليونانية نفسها مستخدمة. في الأصحاح الثاني من رسالة يعقوب، والآية السادسة - سأقرأ الآية. "وأما أنتم فأهنتم الفقير. أليس الأغنياء يتسلطون عليكم وهم يجرونكم إلى المحاكم؟" هل يمكنكم تخمين الكلمة المستخدمة هنا والمطابقة تمامًا للكلمة التي تُرجمت "يجذب" في يوحنا ٦. هل حمن أحد؟ "يجرون". لنضع الآن المعنى شبه البيلاجي: "وأما أنتم فأهنتم الفقير. أليس الأغنياء يتسلطون عليكم وهم يتوددون لكم لتدخلوا المحاكم؟" واضح؟

لننظر آية أخرى. لنقرأ من سفر أعمال الرسل، الأصحاح ١٦ والآية ١٩. سأقرأها. "قلما رأى مواليتها أنه قد خرج رجاء مكسبهم، أمسكوا بولس وسيلا وجروهما إلى السوق إلى الحكام". هل يمكنكم أيضًا تخمين آية كلمة هنا هي الكلمة اليونانية نفسها؟ مرة أخرى، كلمة "جروهما". أيضًا، لنضع "استدروهما، أو توددوا إليهما" بدلاً منها. "أمسكوا بولس وسيلا وتوددوا إليهما ليذهبا إلى السوق إلى الحكام". يُشير هذا النص بوضوح إلى ممارسة قوة في جر بولس وسيلا إلى السوق.

ربما يجعلكم هذا تتساءلون عن سبب استخدام المترجمين لكلمة "يجذب" بدلاً من "يجر" (يوحنا ٦: ٤٤). يمكنني فقط التخمين، وسأحاول بعد لحظة، لكن لنكمل أولاً.

إِنْ لَمْ يُجْبِرْهُ الْآبُ:

كُلَّمَا شَكَّكْنَا فِي الْمَعْنَى الدَّقِيقِ لِكَلِمَةٍ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، أَوَّلُ شَيْءٍ نَفْعَلُهُ هُوَ فَحْصُ اللُّغَةِ الْأَصْلِيَّةِ. لَكِنْ بَعْدَ فَحْصِ اللُّغَةِ، نَظَلُّ مُعْتَمِدِينَ عَلَى عِلْمِ اللُّغَةِ وَمَعَانِي الْكَلِمَاتِ حَتَّى نَفْهَمَ مَعْنَى هَذَا اللَّفْظِ فِي الزَّمَنِ الَّذِي اسْتُخْدِمَ فِيهِ عِنْدَ كِتَابَةِ الْوَتَائِقِ. أَعْتَقِدُ أَنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ أَكْثَرَ مَصْدَرٍ لُغَوِيٍّ وَمُعْجَمِيٍّ يَحْطَى بِالتَّقْدِيرِ فِي الْعَالَمِ الْأَكَادِيمِيِّ، وَفِي الْكَنِيَسَةِ لِلْبَحْثِ عَنِ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ الْيُونَانِيَّةِ هُوَ "قاموس كيتل اللاهوتي للعهد الجديد".

فِي هَذَا الْقَامُوسِ عَرَفَ كَيْتِلُ الْكَلِمَةَ الَّتِي تُرْجِمَتْ "يَجْتَذِبُ" فِي هَذَا النَّصِّ (يوحنا ٦ : ٤٤) بِأَنَّهَا "يُجْبِرُ بِسُلْطَةٍ لَا يُمَكِّنُ مَقَاوِمَتَهَا". أَضِيفُ أَنَّ وَاضِعِي هَذَا الْقَامُوسِ هُمْ أَيْضًا مَا يَكُونُ عَنِ الْكَالْفِينِيَّةِ. لَكِنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَنَّ الْمَعْنَى الْقَدِيمَ-فِي اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ لِهَذَا الْفِعْلِ هُوَ "يُجْبِرُ".

لَكِنْ، نَسْأَلُ أَيْضًا، إِنْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا، أَيُّ إِنْ كَانَ الْبُرْهَانُ اللُّغَوِيُّ وَالْمُعْجَمِيُّ يُرْجِحُ بِشِدَّةٍ أَنَّ الْفِعْلَ يَعْنِي إِجْبَارًا، فَلِمَاذَا اسْتُخْدِمَ الْمُتَرْجِمُونَ، فِي تَرْجُمَاتٍ عَدِيدَةٍ، كَلِمَةَ "يَجْتَذِبُ"، وَتَرْجَمُوا الْكَلِمَةَ نَفْسَهَا إِلَى "يَجْرُ" فِي نُصُوصٍ أُخْرَى؟

حَسَنًا، حِينَ تَكُونُ لَدَيْكَ كَلِمَةٌ كَهَذِهِ، فَعَادَةً مَا يَتَحَدَّدُ اخْتِيَارُكَ لِتَرْجِمَتِهَا بِالسِّيَاقِ. وَتَتَحَدَّدُ أَيْضًا بِشَكْلِ مَا يَفْكَرُكِ اللَّاهُوتِيِّ. وَرُبَّمَا، هَذَا مُجَرَّدُ تَحْمِينٍ، شَعَرَ الْمُتَرْجِمُونَ بِأَنَّهُ مِنَ الْمُهَيَّنِّ لِلْقَارِي أَنْ يَكْتُبُوا: "لَا يَفْهَمُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْرَهُ الْآبُ" أَوْ "إِنْ لَمْ يُجْبِرْهُ الْآبُ". رُبَّمَا هَذَا سَبَبُ اخْتِيَارِهِمْ عَدَمَ كِتَابَةِ هَذَا.

لَكِنْ، لَمْ يَكُنْ غَالِبِيَّةُ الْمُتَرْجِمِينَ بِهَذِهِ الْعَشَوَاتِيَّةِ فِي تَرْجِمَتِهِمْ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. لَكِنَّهُمْ حَاوَلُوا أَنْ يَكُونُوا أَمْنَاءَ بِقَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِمْ فِي تَرْجِمَةِ الْيُونَانِيَّةِ إِلَى لُغَاتٍ أُخْرَى. وَقَدْ حَيْرَنِي هَذَا طَوِيلًا، وَأَعْتَقِدُ أَنَّي وَجَدْتُ الْإِجَابَةَ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِقِصَّةٍ لِتَوْضِيحِهَا.

أَيُّهَا الْمَاءُ، أَيُّهَا الْمَاءُ:

دُعِيْتُ لِمُنَاطَرَةٍ عَنِ مَوْضُوعِ التَّعْيِينِ الْمُسَبِّقِ فِي كَلِمَةِ لاهوتِ أَرْمِينِيَّةِ، كَانَتْ الْكَلِمَةُ أَرْمِينِيَّةً حَتَّى أَنْفَعَهَا، بِحَسَبِ إِفْرَارِ إِيمَانِهَا. كَانَتْ تَجْمَعُنَا صَدَاقَةً جَيِّدَةً وَوُدُودَةً مَعَ الْكَلِمَةِ، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّي مُعَارِضٌ لِلْلاهوتِ الْأَرْمِينِيِّ، فَارَأَوْا أَنَّهُ مِنَ الْجَيِّدِ أَنْ يُنَظَّمُوا مُنَاطَرَةً أَمَامَ الطُّلَّابِ وَهَيْئَةِ التَّدْرِيسِ، لِأَنَّهُمْ ارَادُوا أَنْ يَسْمَعَ الطُّلَّابُ الرَّأْيَ الْآخَرَ، الَّذِي كُنْتُ أُمْتَلُهُ. وَصَادَفَ أَنَّ مُنَاطَرِي، الْوُدُودَ بِالْفِعْلِ، كَانَ رَئِيسَ قِسْمِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ.

وَبَيْنَمَا كُنَّا نُنَاقِشُ الْمَوْضُوعَ، وَصَلْنَا إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ، فَاسْتَشْهَدَ بِهَا: "لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقِيلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الْآبُ" (يوحنا ٦: ٤٤). وَفَسَّرَ الْكَلِمَةَ بِمَعْنَى "يَسْتَدْرِجُ أَوْ يَتَوَدَّدُ". نَبَّهْتُهُ فِي الْحَالِ إِلَى شَيْءٍ كُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّي لَمْ أَكُنْ أَحْتَاجُ أَنْ أَفْعَلَهُ، لِأَنَّهُ هُوَ مَنْ كَانَ الدَّارِسَ لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ، لَا أَنَا. قُلْتُ: "مَاذَا عَنِ اسْتِخْدَامِهَا فِي يَعْقُوبَ ٢ وَأَعْمَالِ الرُّسُلِ ١٦؟" أَقْرَ بِأَنَّ النَّصِيحَ يَسْتَحْدِمَانِ بِالْفِعْلِ التَّقْسِيرِ الْأَكْثَرَ إلْزَامًا لِلْفِعْلِ، وَأَنَّهُ يُمَكِّنُ تَرْجَمَةَ الْفِعْلِ "يَجْرُ". أَقْرَ بِهَذَا.

فَسَأَلْتُهُ: "إِذَنْ، لِمَاذَا تُصِرُّ عَلَى أَنْ يَجْتَذِبَ أَقْلُ إلْزَامًا مِنْ يَجْرُ؟" أَجَابَ: "لِأَنَّ لَدَيْنَا مِثَالًا لِاسْتِخْدَامِ الْفِعْلِ فِي اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، فِي مَسْرَحِيَّةٍ مَا لِيُورِيدِيْسَ، أَوْ شَيْءٍ آخَرَ لَمْ أَسْمَعْ بِهِ مِنْ قَبْلُ. وَقَالَ: "هَذَا الْفِعْلُ اسْتَحْدَمَهُ الْيُونَانِيُّونَ عَنْ "سَحَبِ" الْمَاءِ مِنَ الْبُئْرِ".

وَقَالَ لِي، وَقَدْ كُنْتُ مُرْتَبِكًا جَدًّا. لَمْ تَكُنْ لَدَيَّ فِكْرَةٌ عَنْ هَذَا. قَالَ: "إِذَنْ، أَسْتَاذَ سَبْرُولِ، مِنَ الْمَشْرُوعِ اسْتِخْدَامِ كَلِمَةِ "يَجْتَذِبُ" لِأَنَّ لَا أَحَدَ يَجْرُ الْمَاءَ مِنَ الْبُئْرِ". هُنَا عَمَّتِ الْفَوْضَى، وَكُنْتُ عَالِقًا، وَمُحْرَجًا، لِأَنِّي لَمْ أَعْرِفْ شَيْئًا عَنْ هَذَا.

ثُمَّ قُلْتُ: "صَحِيحٌ أَنَّكَ لَا تَجْرُ الْمَاءَ مِنَ الْبُئْرِ، لَكِنْ، يَا سَيِّدِي، كَيْفَ تَحْضُلُ عَلَى الْمَاءِ مِنَ الْبُئْرِ؟ هَلْ تَقِفُ أَعْلَى الْبُئْرِ وَتَقُولُ: "أَيُّهَا الْمَاءُ، أَيُّهَا الْمَاءُ؟" هَلْ تَتَوَدَّدُ لِلْمَاءِ لِيَخْرُجَ مِنَ الْبُئْرِ؟ هَلْ تَسْتَدْرِجُ الْمَاءَ مِنَ الْبُئْرِ؟ أَمْ لَا بَدُّ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا يُجْبِرُ الْمَاءَ عَلَى مُقَاوَمَةِ الْجاذِبِيَّةِ، حَتَّى تَرْفَعَهُ حَيْثُ يُمَكِّنُكَ اسْتِعْمَالُهُ؟" ضَحِكَ الْجَمِيعُ، فَاثْتَقَلْنَا إِلَى آيَةٍ أُخْرَى.

لَكِنْ أَعْتَقِدُ أَنَّ حَتَّى هَذَا الِاسْتِخْدَامَ الْغَامِضَ لِلْكَلِمَةِ فِي الْيُونَانِيَّةِ يُؤَكِّدُ أَنَّ الْفِعْلَ يُوجِي بِقُوَّةٍ إِنْجَابًا إِلَهِيَّةً. وَإِنْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا، يُمَكِّنُ أَنْ أَقُولَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ، وَحْدَهَا، كَافِيَةٌ لِحَسْمِ الْجَدَلِ تَمَامًا، مِنْ جِهَةِ مَقْدَرَةِ الْإِنْسَانِ، أَوْ غِيَابِهَا، عَلَى تَرْغِيبِ نَفْسِهِ فِي اخْتِيَارِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِأَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ يَقُولُ إِنَّ لَا أَحَدَ يَقْدِرُ عَلَى هَذَا إِنْ لَمْ يُجْبِرْهُ الْآبُ. هَذِهِ أَوْغُسْطِينِيَّةٌ بَحْتَةً، لَكِنَّهَا فَقَطْ قَبْلَ زَمَنِ الْقَدِيسِ أَوْغُسْطِينُوسَ بِكَثِيرٍ.

الميلاد الثاني يسبق الإيمان:

لَكِنْ إِنْ كَانَ هَذَا غَيْرَ كَافٍ عَنْ مَقْدَرَةِ الْإِنْسَانِ، لِنَعُدَّ إِلَى الْأَصْحَاحِ ٣ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا، حَيْثُ يَصِفُ يُوحَنَّا لِقَاءَ يَسُوعَ مَعَ الْفَرِيسِيِّ، وَاللَّاهُوتِيِّ، نِيْقُودِيمُوسَ، فَقَالَ فِي الْآيَةِ ٣: "أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا-عَلَامَ يَدُلُّ هَذَا؟ مَاذَا يَأْتِي بَعْدَهُ؟ شَرْطٌ أَسَاسِيٌّ. "إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنْ فَوْقَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ" (يوحنا ٣: ٣).

إِذْنًا، مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْدُثَ، فِي رَأْيِ يَسُوعَ، قَبْلَ أَنْ يَرَى أَحَدًا مَلَكَوتِ اللَّهِ؟ لَا بُدَّ أَنْ يُوَلَدَ مِنْ فَوْقٍ. إِذْنًا، الْمِيلَادُ الثَّانِي يَسْبِقُ رُؤْيَةَ مَلَكَوتِ اللَّهِ. هَلْ هَذَا تَفْسِيرٌ مَشْرُوعٌ لِلنَّصِّ؟ فِي الْحَقِيقَةِ، لَا أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ أَبَدًا إِلَّا حِينَ يَكُونُ مَاذَا أَوْلًا؟ مَوْلُودًا مِنْ فَوْقٍ، أَوْ ثَانِيَةً.

حَسَنًا. لِنُكْمِلَ. تَحَيَّرَ نِيْقُودِيمُوسُ. "كَيْفَ يُمْكِنُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُوَلَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنِ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُوَلَدَ؟" أَجَابَ يَسُوعُ: الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُوَلَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكَوتِ اللَّهِ" (يوحنا ٣: ٤-٥). إِذْنًا، الْمِيلَادُ الثَّانِي مَطْلَبٌ مُسَبِّقٌ لِدُخُولِ رُؤْيَةِ مَلَكَوتِ اللَّهِ.

يَقُولُ شِبْهُ الْبَيْلَاجِيِّينَ: يَخْتَارُ الْبَشَرُ الْمَسِيحَ قَبْلَ أَنْ يُوَلَدُوا ثَانِيَةً. وَيَقُولُونَ أَيْضًا: إِنَّ الْبَشَرَ فِي طَبِيعَتِهِمْ يَتَعَاوَنُونَ مَعَ النِّعْمَةِ السَّابِقَةِ، وَيَتَجَاوَبُونَ مَعَ تَوَدُّدِ اللَّهِ الرُّوحِ الْقُدُسِ لَهُمْ وَاسْتِدْرَاجِهِ وَجَذْبِهِ، وَهُوَ لَمْ يَسْكُنْهُمْ، أَيِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، أَوْ يَجِدْهُمْ بَعْدَ. الْخُلَاصَةُ هِيَ أَنَّ الْفِكْرَ الْأَرْمِينِيَّ يَتَحَدَّثُ عَنْ أَنَسٍ لَمْ يُوَلَدُوا ثَانِيَةً بَعْدَ، لَكِنَّهُمْ يَرَوْنَ وَيَخْتَارُونَ مُلْكَ مَلَكَوتِ اللَّهِ. أَلَا يُحِيرُ هَذَا الْعَقْلَ؟

لِذَلِكَ، فَمِنْ بَدْءِ اللَّاهُوتِ الْأَوْغُسْطِينِيَّ هُوَ: الْمِيلَادُ الثَّانِي يَسْبِقُ الْإِيمَانَ. يُعَدُّ الْمِيلَادُ الثَّانِي شَرْطًا أَسَاسِيًّا لِلْإِيمَانِ، كَمَا عَلَّمَ بُولُسُ فِي نَصِّ آخَرَ فِي أَفَسَسِ ٢: ٤-٥، قَائِلًا إِنَّنَا وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، أَحْيَايَا اللَّهُ، أَيُّ جَعَلْنَا أَحْيَاءَ فِي الْمَسِيحِ. وَنَحْنُ بَعْدَ أَمْوَاتٍ!

ثُمَّ يَقُولُ إِنَّنَا لِهَذَا مُحَلَّصُونَ بِالنِّعْمَةِ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِثْلًا، هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ (أَفَسَسِ ٢: ٨). إِذْنًا، نَرَى أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ النَّاتِجَةُ عَنْ عَمَلِ تَجْدِيدِ الرُّوحِ فِي دَاخِلِنَا. اللَّهُ نَفْسُهُ هُوَ مَنْ يُعْطِي الشَّرْطَ الْأَسَاسِيَّ لِلْمَجِيءِ لِيَسُوعَ. وَلِهَذَا، نَخْلُصُ بِالنِّعْمَةِ وَحْدَهَا "sola gratia".

الْجَسَدُ لَا يُفِيدُ شَيْئًا:

ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ: "الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. لَا تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُوَلَدُوا مِنْ فَوْقٍ" (يوحنا ٣: ٦-٧). يَقُولُ يَسُوعُ: "مَاذَا يُفَاجِئُكَ هَذَا؟ فَأَنْتَ لَاهُوتِي، يَا نِيْقُودِيمُوسُ. أَلَا نَفْهَمُ مَعْنَى طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ السَّاقِطَةِ، أَنَّ الْمَوْلُودَ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ؟"

وَفِي نَصِّ آخَرَ، نَقْرَأُ أَنَّ الْجَسَدَ لَا يُفِيدُ - مَاذَا؟ - شَيْئًا (يوحنا ٦: ٦٣). لَكِنْ إِنْ اعْتَقَدْنَا أَنَّ اللَّهَ يَسْتَدْرِجُنَا لِثَانِيَةِ الْمَسِيحِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا عَلَيْنَا فِعْلُهُ، فِي الْجَسَدِ وَقَبْلَ مِيلَادِنَا الثَّانِي، هُوَ التَّعَاوُنُ مَعَ هَذَا، أَوْ قَبُولُهُ. وَأَنْنَا نَسْتَطِيعُ التَّعَاوُنَ مَعَ النِّعْمَةِ السَّابِقَةِ وَقَبُولِهَا، لِذَرَجَةِ دُخُولِ مَلَكَوتِ اللَّهِ، وَنَوَالِ فِدَائِ الْأَبْدِيِّ. وَأَنْنَا نَفْعَلُ هَذَا وَنَحْنُ فِي الْجَسَدِ. فَسَأَلْتُكُمْ: بِمَاذَا يَنْفَعُ الْجَسَدُ؟ لَنْ يَنْفَعُ بَعْضَ الشَّيْءِ - بَلْ سَيَنْفَعُ كُلِّيًّا! سَيَنْفَعُ خِلَاصَكَ الْأَبْدِيِّ!

تَحَدَّثَ بُولُسُ نَفْسَهُ عَن هَذَا فِي الْأَصْحَاحِ ٨، الْآيَةِ ٧. لِنَبْدَأُ مِنَ الْآيَةِ ٥: "فَإِنَّ الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فِيمَا لِلْجَسَدِ يَهْتَمُّونَ، وَلَكِنَّ الَّذِينَ حَسَبَ الرُّوحِ فِيمَا لِلرُّوحِ. لِأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ، وَلَكِنَّ اهْتِمَامَ الرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلَامٌ. لِأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عِدَاوَةٌ لِلَّهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ أَيْضًا لَا يَسْتَطِيعُ" (رومية ٨: ٥-٧).

هُنَا يُخْبِرُنَا الرَّسُولُ بِشَيْءٍ عَن عَجْزِ الْإِنْسَانِ الْأَخْلَاقِيِّ فِي الْجَسَدِ. وَيَقُولُ إِنَّ الْإِنْسَانَ، فِي حَالَتِهِ السَّاقِطَةِ، فِي الْجَسَدِ، فِي عِدَاوَةِ لِنَامُوسِ اللَّهِ. وَهُوَ لَا يُطِيعُ نَامُوسَ اللَّهِ، وَلَيْسَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللَّهِ، وَأَيْضًا مَاذَا؟ لَا يَسْتَطِيعُ! إِذَنْ هَذَا الْإِنْسَانُ السَّاقِطُ، كَمَا يَقُولُ الرَّسُولُ هُنَا (أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟)، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُطِيعَ نَامُوسَ اللَّهِ. "قَالَ الَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا اللَّهَ" (رومية ٨: ٨).

رُبَّمَا أَضِيفُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ اللَّهُ فَقَطْ يَتَوَدَّدُ إِلَيْنَا لِتَأْتِي لِلْمَسِيحِ، تَارِكًا لَنَا الْقَرَارَ الْأَخِيرَ، فَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّ شَيْئًا يُمَكِّنُ أَنْ يُرْضِيَ اللَّهَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ نَسْتَجِيبَ إِبْجَابِيًّا لِهَذَا الْاسْتِنْدِرَاجِ وَالتَّوَدُّدِ. لَكِنْ يُخْبِرُنَا الرَّسُولُ بِأَنَّ فِي الْجَسَدِ، لَا يُوجَدُ مَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ فِعْلُهُ كَيْ يُرْضِيَ اللَّهَ.

الْمَطْلَبُ الْمُسَبِّقُ الْأَسَاسِيُّ:

ثُمَّ تَأْتِي الْفِكْرَةُ الْحَاسِمَةُ، فِي الْآيَةِ ٩. "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ". كَيْفَ نَعْرِفُ إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ فِي الْجَسَدِ أَمْ فِي الرُّوحِ؟ "فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ"، وَالْكَلِمَةُ التَّالِيَةُ هَامَةٌ، "إِنْ!" عِلَامَةٌ تَدُلُّ كَلِمَةً "إِنْ"؟ إِنَّهَا شَرْطٌ أَسَاسِيٌّ. نَعَمْ. "إِنْ كَانَ رُوحُ اللَّهِ سَاكِنًا فِيكُمْ" (رومية ٨: ٩).

كَمْ شَخْصًا مَوْلُودًا ثَانِيَةً يَسْكُنُ فِيهِ رُوحُ اللَّهِ؟ الْجَمِيعُ. وَاضِحٌ؟ فَإِنْ كُنْتُ مَوْلُودًا ثَانِيَةً، فَأَنْتَ لَمْ تَعُدْ فِي الْجَسَدِ. وَإِنْ كُنْتُ فِي الْجَسَدِ، فَأَنْتَ لَمْ تُولَدْ ثَانِيَةً. هَلْ هَذَا وَاضِحٌ؟ إِذَنْ، حِينَ تَحَدَّثُ الرَّسُولُ عَنِ الَّذِينَ فِي الْجَسَدِ، كَانَ يَقْصِدُ غَيْرَ الْمَوْلُودِينَ ثَانِيَةً. وَغَيْرَ الْمَوْلُودِينَ ثَانِيَةً لَا يَسْتَطِيعُونَ إِرْضَاءَ اللَّهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ إِطَاعَةَ اللَّهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُضُوعَ لِلَّهِ، وَيَخْتَبِرُونَ هَذِهِ الْحَالَةَ الْمُخِيفَةَ مِنَ الْعَجْزِ الْأَخْلَاقِيِّ الَّتِي تَحَدَّثْنَا عَنْهَا.

"إِنْ كَانَ رُوحُ اللَّهِ سَاكِنًا فِيكُمْ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ" (رومية ٨: ٩). تَابِعْ قَائِلًا: إِنْ كَانَ لِأَحَدٍ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَهُوَ لِلْمَسِيحِ. إِذَنْ، الْمَطْلَبُ الْمُسَبِّقُ الْأَسَاسِيُّ لِلْخُلَاصِ هُوَ عَمَلٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ؛ فَهُوَ الشَّرْطُ الْأَسَاسِيُّ، وَالْمَطْلَبُ الْمُسَبِّقُ كَيْ يُوجَدَ الْإِيمَانُ. لِهَذَا نَحْنُ نُصِرُّ عَلَى أَنَّ الْخُطُوَةَ الْأُولَى فِي التَّبَرُّيرِ، الَّتِي تُحْيِينَا مِنَ الْمَوْتِ الرُّوحِيِّ، وَتُمْكِّنُنَا مِنَ الْمَجِيءِ إِلَى يَسُوعَ، هُوَ عَمَلٌ نِعْمَةً لِلَّهِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ، وَلَيْسَ نِتَاجَ الْجَسَدِ.

الدكتور أ.ز. سي. سبرول هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيْر، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقَدِيْسِ أَنْدْرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِيْنَةِ سَانْفُورْد بِوَلَايَةِ فُلُورِيْدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيْسٍ لِكُلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ أَلْفَ أَكْثَرِ مِنْ مَائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُلُّنَا لَاهُوتِيُّونَ" (Everyone's)
(A Theologian).

تَمَّ نَشْرُ هَذِهِ الْمَحَاضِرَةِ فِي الْأَصْلِ فِي مَوْقِعِ [ليجونير](https://ar.ligonier.org).